لماذا نحتاج إلى الأرشيف؟

لماذا نحتاج إلى الأرشيف؟ أو بمعنى آخر ما الدافع وراء تأسيس الأرشيفات والاهتمام بها، وظهور علم يعنى بدراستها ودراسة محتوياتها ومجموعاتها؟

نستطيع القول بأننا نحتاج إلى الأرشيف نظرا لأهميته العلمية والعملية؛ لكن يبقى السؤال قائمًا: ما هي هذه الأهمية على وجه التحديد؟

أهمية الأرشيف:

أولًا: الأرشيف مصدر أولي للبحث العلمي في التاريخ:

الأهمية الأولى للأرشيف تكمن في أن الأرشيف القومي والأرشيفات الخاصة، وكذلك بعض أنواع الأرشيفات المتخصصة تقتني نوعًا من أهم أنواع المصادر الأولية التي لا يستغنى عنها المؤرخ؛ أي أن الأرشيف يضم جزءًا من المخلفات الناتجة عن الحياة الطبيعية للبشر أفرادًا ومجتمعات.

ومن الأمور التي أجمع عليها المشتغلون بالتأليف التاريخي والتي أصبحت حقيقة ثابتة في مناهج علم التأريخ Historiography أن التاريخ لا يمكن أن يكتب إلا عن طريق ما خلفه الإنسان وراءه من "آثار"، ومن بين هذه الآثار الوثائق...

وتتميز الوثائق عن المصادر المؤلفة بأنها مصادر أولية، كما إنها غير مقصودة، أي أنها نتجت بشكل تلقائي، ولم تكتب بغرض التأريخ وهذه ميزه مهمة، ولا يعنى هذا بالطبع أن كل ما في الوثائق صحيح تاريخيا، ولكنه يعكس دائما واقعا كان قائما.

ثانيا: الأرشيف يجعل عملية البحث الفعال عن المعلومات ممكنة:

إذا كانت الأهمية الأولى للأرشيف هو أنه يجمع الوثائق التي تعد مصدرًا أوليًا لدراسة التاريخ، فإن هذه الوثائق موجودة سواء بوجود الأرشيف أو عدمه، لكن الأرشيف عندما يقوم بجمع الوثائق، وترتيبها، ووصفها، وتوفير الفهارس وأدوات الإيجاد المختلفة لها؛ يجعل عملية البحث الفعال عن المعلومات ممكنة.

فالدور الأساسي للأرشيف يكمن في العمليات الفنية التي تجرى للمجموعات الأرشيفية والتي تصبح بمقتضاها متاحة بسهولة ويسر للمستفيدين المحتملين منها؛ وكلما تطورت إمكانيات إدارات الأرشيف كلما أصبح الوصول إلى المعلومة مباشرة داخل الوثيقة أمر ممكن؛ فالوثائق المنظمة في الأرشيف تضع تحت يد الباحث كمًا من المعلومات المتاحة والمنظمة تصل في الوقت الذي تطلب فيه.

ثالثا: الأرشيف يسهم في حفظ تراث الأمة الثقافي:

فالوثائق تسجل أهم الأحداث التي تمر في تاريخ الأمة تسجيلًا تلقائيًا؛ ومن هنا فعندما تنقل هذه الوثائق إلى الأرشيف القومي أو تحفظ في بعض الأرشيفات الخاصة فإننا نضمن بذلك الحفاظ على تراثنا الثقافي بمعناه الواسع، بالإضافة إلى الوثائق ذات العلاقة بالتراث الثقافي بشكل مباشر؛ فهناك فئات من الوثائق تتحدث عن مؤسسات لعبت دورًا في الحياة الثقافية للأمة ومازالت قائمة أو اندثرت، مثل وثائق الأزهر – البطريركية – وثائق المدارس ومؤسسات التعليم القديمة – الوثائق التي تحوى أوصافًا لمباني أثرية قائمة أو زالت.

رابعا: الأرشيف يلبى بعض الاحتياجات الإدارية والفنية للعمل اليومي:

في بعض الأحيان تحتاج أعمال الإدارة اليومية في المؤسسات الحكومية المختلفة لبعض الوثائق القديمة التي انتهى استخدامها تماما في الجهات التي أفرزتها أو تلقتها، وهنا يأتي دور الأرشيف القومي للدولة أو بعض الأرشيفات المتخصصة لتوفر لنا هذه الوثائق.

(مثال: عندما شرعنا في تشييد المرحلة الأولى من مترو أنفاق القاهرة كان لابد من العثور على خرائط شبكات المرافق الأرضية)

خامسا: الأرشيف يصون المصالح العليا للدولة:

فالأرشيف القومي يحتفظ بأصول المعاهدات السياسية والتجارية وخرائط ترسيم الحدود وكل الوثائق الرسمية التي تحدد حقوق الدولة، وفي حالة الحاجة إلى العودة لمثل هذه الوثائق فإنها تكون محفوظة في الأرشيف القومي.

(مثال: تأميم قناة السويس – قضية التحكيم الدولي في طابا).

سادسا: الأرشيف مرجع في بعض المشكلات القانونية:

في كثير من الأحيان تلجأ المحاكم بدرجاتها المختلفة إلى الأرشيف القومي للدولة بهدف البحث عن وسائل للإثبات أو أدلة في القضايا التي تنظرها؛ فالأرشيف القومي يحتفظ بسجلات المحاكم كاملة وملفات القضايا المهمة.

كذلك فإن الأفراد والمؤسسات الخاصة والحكومية تلجأ في كثير من الأحيان إلى الأرشيف القومي لإثبات حقوق الملكية العقارية وغيرها من الحقوق القانونية؛ ومن هنا فإن بعض الأرشيفات يكون بها إدارة خاصة لخدمة الجمهور.

سابعا: الأرشيف القومي يوفر مكان لحفظ الوثائق الجارية:

فالوثائق الجارية تنقل بعد انتهاء مدد حفظها الإداري تلقائيًا إلى دار الوثائق (الأرشيف القومي) أو تعدم تحت إشراف أمناء الأرشيف، وهذا الانتقال الدوري المستمر يوفر حيزًا جديدًا للإنتاج الجديد من الوثائق، وبالتالي تستطيع إدارات المحفوظات والوثائق الجارية في الجهات الحكومية المختلفة أن توفر مكانًا متجددًا لحفظ الوثائق المتداولة أو التي لم تنتهي المدد الإدارية لحفظها في الجهات المنتجة أو المتلقية.